من خريف الربيع

[إلى حمامة أبريل ! ...]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذَهَبْتُ لِلرَّوْضِ فى صَباحِ
مُقيدِ اللَّحن ، والجناحِ
وفيــه ما فِيَّ من أغانٍ
مَطلُولةِ الشـدو بالجراحِ
أوتارُ أطيـاره سُـكارَى
يَعْـزِفنَ وَجْدَ الحب نارا
سميرُها خمـرةُ الحيارَى !
حَثَّتْ إليه الرُّؤَى خُطاها
وخلفها انسابت الدُّموعُ !

* * *

سِيَّانِ فى قبضـةِ الرِّياحِ
شوكُ الجلاميدِ ، والأقاحى
فكم رحيقٍ بلا دِنانٍ !
وكم دِنانٍ بغـير راحِ !
وكم رَبيع لنـا توارَى
تَوَدُّ لو كانت العـذارَى
لِسِحْره الغائب انتظارا
ماتتْ ليـاليهِ فى صِباها
فهل لأحلامها رُجوعُ ؟ !

* * *

وكم خريف بلا زهـور
ولا أغانٍ ، ولا طيور
يلوحُ مُسْتَيْقظ الشُّعور
كأن فجراً عليـه سارا
مُتَيَّمَ النُّـور مُستطارا
كنشوة حَلَّتِ العِذارَا
ونغمة وقرقت شجاها
ومالهـا فى الرُّبى سميعُ !

* * *

رأيتُ عُشًّا على نخيـل
كمهجة تَجَّــة الغَليل
رَيَّانَ بالنوْحِ والعَويل
هـديله فى الصباح طارا
فضج للدوح واستجارا
ناحتْ بأشـواقه جِهارا
حمـامة مَزَّقَتْ حشاها
وخانَ أحلامَها الرَّبيع !

* * *

وأنَّ تحتَ الظلال جـدولْ
يجرى ... ولـكنه مُكبَّلْ
كخاطـر فى دجى تَنقَّل
إن قلت : أقبِلْ ! أرى نِفارا
أو قلت : أبعِد ! دنا مَزارا
كطائر فى الشِّبَاك ثارا
وأنَّة فى الحشا طـواها
سجنٌ يُسمونه الضلوع !

* * *

حزينةٌ أنت يا ظـلالُ ؟
أم فيك نفسٌ بهـا ملالُ ؟
أحاطَنا الحبُّ والجـالُ
وأنتِ مِثـلى كَتمتِ نارا
وتنفُضينَ الأَسى عِطارا
لبستِ من حَيْرتى دِثارا
ولحتِ تَشكَى تُريدُ فَاها
يبكى به قلبهـا الصديعُ !

* * *

وأنتَ يأيهـا الحزنُ !
يا شاعراً شفَّه الحنينُ ...
ألقِ مَزاميرَكَ الأنين
فى ظُلْمة لم تجِدْ نهارًا
فَـدَفَّ إنشادُها ودَارَا
كَغُرْبة ضلَّت الدِّيارَا
فَطَنبتْ فى الرُّبى أساها
والرَّوض من حولها خليعُ ! !